

حول الوجود المسيحي في المشرق

محمد السمّك

نشر الدكتور عبد الرؤوف سنو، المؤرخ وعميد كلية التربية سابقاً في الجامعة اللبنانية، بحثاً عن الوجود المسيحي في الشرق. انطلق في هذا البحث من أمر أساسي وهو الاعتراف بوجود مشكلة في العلاقات الإسلامية المسيحية على المستوى العربي. وكما يقول عالم الاجتماع البريطاني هاكسلي، فإن تعريف المشكلة هو نصف الطريق إلى حلها. ولقد حاول الدكتور سنو تعريف المشكلة من خلال ظواهر ثلاث: الظاهرة الأولى هي الهجرة المسيحية وعلاقتها بالإرهاب الذي مارسه بعض الحركات الإسلامية. والظاهرة الثانية، هي الإسلاموفوبيا وعلاقتها بالمصالح السياسية والاقتصادية. أما الظاهرة الثالثة، فهي عدم حل المشكلة الفلسطينية وعلاقتها بتنامي الأصولية المسلحة. ومن خلال محاولته الربط بين هذه الظواهر، أوضح أمراً أساسياً، وهو أن كلاً منها يشكل أساساً لتبرير الأخرى ولرفدها بالأسباب الموجبة. يشير د. سنو إلى تجليات الإسلاموفوبيا في الغرب وأخرها كما ذكر الصور الكاريكاتورية للنبي محمد وإحراق القرآن الكريم ومنع بناء المآذن.. الخ. وفي اعتقادي أن الإسلاموفوبيا تأسست على ثقافة رفض الدين بالمطلق. ذلك أن الثقافة الغربية تتماهى باللادين وبأن الهوية الأوروبية فكت ارتباطها بالدين منذ أكثر من مائة عام. والدليل على ذلك، رفض اللجنة المكلفة وضع الدستور الأوروبي الموحد برئاسة فاليري جيسكار ديستان الإشارة إلى المسيحية على أنها مكون من مكونات الهوية أو الشخصية أو الثقافة الأوروبية. ولكن المجتمع الغربي عندما يصطدم يومياً بالحضور الإسلامي الكثيف في المساجد والشوارع والمطاعم والمدارس يفاجأ بعودة الدين من بوابة الإسلام. فتشدد مشاعر الكراهية والرفض، وكلما عبّر الغربيون عن هذه المشاعر، كلما وجد المتطرفون الإسلاميون في ذلك استفزازاً لهم. وبما أن مسيحيي الشرق هم هدف في متناول اليد، فإنهم غالباً ما يدفعون الثمن. يعزز ردّ الفعل هذا الخطأ الآخر والمتمثل في عدم التمييز بين الغرب كمنظومة سياسية اقتصادية عسكرية، والمسيحية كدين يبشر بالمحبة، وأنه رسالة سماوية انطلقت من هذا الشرق كغيرها من الرسائل السماوية الأخرى (اليهودية والإسلام).

لقد تناول بحث الدكتور سنو عدداً من القضايا الشائكة أتوقف أمام بعضها: الهجرة المسيحية. يذكر البحث "ان هجرة المسيحيين نحو الغرب تزامنت مع ما يسمى الإرهاب الإسلامي ضد المجتمعات الغربية". ولكن فيما نعلم، فإن الهجرة سابقة لظاهرة الإرهاب، وإن كانت ازدادت بعدها. وكانت هجرة إسلامية مسيحية. وذكر الدكتور سنو عن حق أن الهجرة المسيحية تؤدي إلى خسارة الكفاءات العلمية والفنية والثقافية. ولكنها فوق ذلك تؤدي إلى تفكيك نسيج المجتمع العربي، وهذا أخطر وأسوأ. ومن أسباب هذه الهجرة الاعتداءات والاحتلالات الإسرائيلية والتدهور الاقتصادي وتراجع التنمية وفرص العمل والاستبداد السياسي وانتهاك الحريات العامة.

وعندما يتحدث عن تنامي الأصولية، فإنه يعزو ذلك إلى عدم حل المشكلة الفلسطينية. وهذا صحيح بالتأكيد. ولكن ربما كان من المفيد أيضاً الحديث عن الأصولية اليهودية في إسرائيل (إسرائيل بيتنا غوش إيمونيم) وعن المسيحية الصهيونية في أميركا، وذلك إضافة إلى حديثه عن الأصولية

الإسلامية: صواريخ غزة. ثم انه تحدث عن "الصليبية" الجديدة (تصريح الرئيس جورج بوش) والصليبية القديمة (الفرنجة) والصليب منهما براء، ذلك ان من ضحايا الصليبية القديمة كان المسيحيون الشرقيون. فالقديسون الشهداء للكنيسة القبطية هم الذين قتلوا على أيدي الفرنجة. كذلك فان ضحايا الصليبية الجديدة (الاجتياح الأميركي للعراق) كان المسيحيون الشرقيون (السريان والكاثوليك في العراق)، فقد وجد هؤلاء أنفسهم بين فكي كماشة رد فعل التطرف الإسلامي من جهة، وهجمة المبشرين الانجيليين من جهة ثانية.

ان من المهم، لدى الحديث عن أهل الذمة، التأكيد على أن هذا النظام ليس نصاً دينياً، ولم يرق على أساس تشريع ديني، ولكنه تنظيم سياسي إنساني اعتمد في فترة تاريخية محددة. ولقد مرّ عليه الزمن وهو ليس نظاماً ملزماً ولا إلزامياً. وقد فقد مبرراته وأسسها خاصة بعد قيام الدولة الوطنية. في ضوء هذه المبادئ العامة، يدخل بحث الدكتور سنو إلى الحديث عن مسيحيي الشرق (وليس عن المسيحيين في الشرق) على أساس دولة دولة.

أولاً عن مسيحيي لبنان. استوقفتني عبارة في النص تقول "إزاحة المسيحيين عن مراكز السلطة العليا وقواعد الاقتصاد في لبنان". وفي علمي أن المسلمين واليساريين لم يحاولوا أبداً إزاحة المسيحيين. كان الهدف مشاركتهم في السلطة. وعن رئاسة الجمهورية اللبنانية (ص33)، يقول الدكتور سنو "ان الرئاسة ظلت عرفاً للموارنة حتى اتفاق الطائف 1989 ثم دستورياً بعد ذلك بموجب الاتفاق المذكور". ولكن في علمي أيضاً أن اتفاق الطائف لا ينص على ذلك، ولا دستور 1990. فالرئاسة للموارنة لا تزال عرفاً.

يعتبر د. سنو عن حق ان دخول نواب مسيحيين إلى البرلمان في أفلاك زعامات إسلامية هو عيب في التمثيل (نواب مسيحيون مع حزب الله أمل الحريري). لكن العكس قائم أيضاً (نواب مسلمون مع عون وستة مع حزب الله). وأنا مع الدكتور سنو بأن انتخاب كل طائفة لنوابها هو خطوة إلى الوراء. أشار البحث إلى موضوع الزواج المدني 1997 وقال انه لو نجح لفتح آفاق الانفتاح بين المسلمين والمسيحيين. ولكن هناك الآفاق التربوية والثقافية والرياضية والكشفية والسياسية التي تحتاج إلى من يفتحها أيضاً من غير بوابة الزواج المختلط. ثم ان الزواج المختلط موجود ولو بشكل محدود. إن تغييراً في قوانين الأحوال الشخصية من شأنه أن يغير من بنية المجتمع اللبناني، يفترض أن يتم بالتفاهم وليس بالتمرير، أي بالمشاركة مع المرجعيات الدينية المسيحية والإسلامية وليس من وراء ظهرها وبشكل مفاجئ لها، كما حدث. ولعل هذا الأسلوب في محاولة تمريره كانت السبب في إجهاضه.

تحدث البحث عن حزب الله وعن "سيطرته على الحياتين السياسية والاجتماعية ومشروعه لتطبيق مقولة ولاية الفقيه مما يزيد من مخاوف المسيحيين" (ص 34). لا أعتقد ان الحزب يسيطر، بل لعله يحاول أن يسيطر على الحياة السياسية أما الحياة الاجتماعية فأمر آخر أشد استعصاء. ثم انني لا أعرف ان للحزب مشروعاً لتطبيق ولاية الفقيه. ولا أعتقد أن القوى المسيحية المتحالفة معه تخاف من هذا المشروع غير الموجود. فالنائبان عون وفرنجية وسواهما من قادة القوى المسيحية لم يعبروا عن هذا الخوف. هذا لا يعني طبعاً ان الكتائب والقوات اللبنانية غير خائفة؛ بل إنها تذهب في التخويف إلى حد الإدانة. وهذا أمر يحتاج إلى وقفة هادئة لبحث أعمق. ولعل أخطر ما يصاب به أي مجتمع هو الخوف من الخوف.

ثانياً عن مسيحيي سوريا 1- يصف الدكتور سنو وضعهم بأنه "أفضل بكثير من وضع أقباط مصر". كنت افضل أن يكون أكثر تحفظاً فيصف وضعهم بأنه أقل سوءاً من وضع اقباط مصر.
2- يعرب عن قلقهم من سيطرة الإسلاميين على الحكم ويقول إنهم يفضلون الخضوع لنظام شمولي

على مثل هذه السيطرة. أعتقد أن التعميم هنا يحتاج إلى تدقيق. فالقلق من سيطرة الإسلاميين المتطرفين موجود ولكنه قلق إسلامي أيضاً، واعتقد انه يمكن تقليل فرص سيطرة هذا التطرف الإسلامي بتعاون إسلامي مسيحي، وليس بصمت إسلامي وانكفاء مسيحي.

ثالثاً عن مسيحيي مصر. عندما قام المرشد العام للإخوان المسلمين بزيارة لبيروت (للتعزية بالشيخ المرحوم فيصل مولوي) جرى حديث خاص معه حول طموحات الإخوان وانعكاسات ذلك على المسيحيين الأقباط. فذكر لي المرشد أن حركة الإخوان مُنعت من التعبير السياسي عن نفسها طوال عهد ناصر والسادات ومبارك، وأنه لم يسمح لها إلا بالتعبير الديني من خلال المساجد. ولذلك، فُهمت الحركة على غير حقيقتها. أما الآن وبعد الثورة، فقد استطاعت أن تعبر عن نفسها سياسياً بإنشاء حزب سياسي للمرة الأولى. وكان مسيحيون أقباط أعضاء في الهيئة التأسيسية وفي القيادة التنفيذية للحزب الجديد. أما الأمر الثاني في الحديث معه، فكان حول ما قام به الرئيس أنور السادات في عام 1971. إذ عدل الدستور (المادة الثانية) (استرضاء للإخوان المسلمين وعلى حساب المسيحيين. وتشكل هذه السابقة مؤشراً إلى أن الأنظمة الشمولية لا تتردد في التضحية بحقوق أقلية تدعي حمايتها، عندما تجد أن لها مصلحة في استقطاب أكثرية تريد أن تحتمي بها.

تحدثت الدراسة عن نظرية لا يتبناها الدكتور سنو- تقول ان الأقباط موجودون في مصر قبل الإسلام، وان ذلك مبرر لنفي الإسلام. الواقع، هو أن كل المصريين أقباط، بعضهم بقي على دينه وبعضهم أسلم. انهم من عنصر واحد. فهل تبطل المواطنة بتغيير الدين؟ وكيف يمكن لعشرة بالمائة من السكان أن تنفي التسعين بالمائة؟

وتقول الدراسة ان السلطات المصرية لا تسمح للمسيحيين بترميم دور العبادة أو بناء أخرى جديدة، إلا وفق شروط صعبة، في حين يتمتع المسلمون بكامل الحرية في بناء المساجد وترميمها. الواقع، ان القانون الجديد في مصر يساوي بين الاثنين بعد توقيف العمل بالقانون العثماني القديم. ثم ان العهدة النبوية لنصارى نجران تدعو المسلمين ليس فقط لحماية الكنائس واحترامها، انما للمشاركة في بنائها. وتحرم العهدة استخدام أي حجر من بناء كنيسة في بناء مسجد أو بيت لمسلم. ولذلك فان من المهم التمييز هنا بين الشريعة الإسلامية من موضوع بناء الكنائس وترميمها وبين القانون الوضعي.

رابعاً عن مسيحيي العراق. من الواضح أن مسيحيي العراق دفعوا ثمن استغلال الانتداب البريطاني لهم في القرن 19 وهم يدفعون ثمن استغلال الاجتياح الأميركي لبلادهم في القرن 21. وفي المرتين تمثل الثمن بالتنكيل بهم داخلياً وبهجرتهم إلى الخارج. والاداة التنفيذية في الحالتين هي: التطرف الإسلامي. ولقد أشار الدكتور سنو إلى "انذار انصار الإسلام" (?) (ص 38) وهو نص يوجع القلب، ليس فقط لتطرفه، إنما لتناقضه مع النص القرآني الكريم ومع الوصايا النبوية الشريفة.

خامساً عن مسيحيي الأردن وفلسطين. هنا أقترح على الدكتور سنو ان يوسع دراسته لتشمل:

- 1- أهمية وثيقة كنائس القدس Kairos باعتبار الاحتلال الإسرائيلي عملاً ضد الإيمان المسيحي وضد العقيدة المسيحية مثلها مثل العنصرية في جنوب افريقيا. وهي وثيقة مسيحية فلسطينية أرسلت إلى جميع المراجع الكنسية في العالم.
- 2- أهمية حركات المقاومة الفلسطينية بقيادة مسيحية (جورج حبش ونايف حواتمة مثلا)
- 3- أهمية موقف الكنيسة الأرثوذكسية العربية في الأردن وفلسطين الراض لبيع عقارات الوقف الأرثوذكسي في القدس إلى إسرائيل.

لقد وجدت في دعوة المناضل خليل سكاكيني (ص 39) لاعتناق الإسلام من أجل تكوين جبهة وطنية (اساءة لإسلام، لأنه يوحي ولو بشكل غير مباشر وكأنه يتعذر إقامة جبهة وطنية على قاعدة إسلامية مسيحية؟

أخيراً في الاستنتاجات والاقتراحات:

حسناً فعل الدكتور سنو عندما تحدث عن مسؤولية الأنظمة وكذلك عن مسؤولية المجتمعات، وخاصة عندما تحدث عن المجتمعات الإسلامية القائمة على النظرة السلبية للآخر. ولكن استوقفتني قوله ان تجربة الدولة المدنية في العالم العربي فشلت. ولقد تساءلت: أين قامت الدولة المدنية حتى فشلت؟ هل سمح لها أساساً بالقيام؟ وكنت أود لو اتسع بحثه إلى الإشارة إلى ورقة الأزهر الشريف حول الدولة الوطنية والديمقراطية واحترام الحريات والحقوق الإنسانية والمساواة بين المواطنين والتي تشكل سابقة مضيئة في الفكر السياسي الإسلامي. لقد كان على حق عندما حذر من النظام الألكتروني الديمقراطي، وكان على حق أيضاً في الاقتراحات الثمانية التي اختتم بها بحثه القيم وفي مقدمها الدعوة إلى: قيام أنظمة وطنية ودولة مدنية على أساس المواطنة وليس على أساس الدين تسود فيها العدالة والمساواة. حلّ قضية فلسطين حلاً عادلاً، وإلى التحرر من أغلال الأصولية الدينية.

لقد قدم الدكتور سنو بحثاً يتميز بالعمق والموضوعية وهو ما نحتاج إليه في محاولتنا فهم عمق ملامسات وخلفيات الأحداث التي تعصف بنا في الوقت الحاضر. ومن دون هذا الفهم يتعذر التفاهم.. ويتعذر معه البناء المشترك للمستقبل الواحد.

المستقبل - الجمعة 30 أيلول 2011 - العدد 4130 - شؤون لبنانية - صفحة 7

متري والسماك ومونس وسنوّ يناقشون

كتاب "الوجود المسيحي في المشرق العربي"

ل.س

الوجود المسيحي في المشرق العربي " شكل محور الندوة التي تناولت أطروحة الكاتب عبد الرؤوف سنو حول الموضوع والتي أقيمت في بلدية الشياح بدعوة من "حلقة الحوار الثقافي" و"مجلة الحداثة الأطروحة تمت مناقشتها خلال الندوة من قبل الوزير السابق طارق متري والأمين العام للجنة الحوار الإسلامي المسيحي محمد السماك والأب يوسف مونس.



قبل الوزير السابق طارق متري والأمين العام للجنة الحوار الإسلامي المسيحي محمد السماك والأب يوسف مونس.

ترحيب من نضال دكاش التي أدارت الندوة، ثم كلمة لجورج نعوم باسم بلدية الشياح، فمداخلة للسماك الذي لفت إلى ان سنو ربط بين الهجرة المسيحية وعلاقتها بالإرهاب والإسلاموفوبيا وعلاقتها بالمصالح السياسية الاقتصادية وعدم حل المشكلة الفلسطينية وعلاقتها بالأصولية المسلحة. وأيد السماك وجهة نظر سنو بأن انتخاب كل طائفة لنوابها هو خطوة إلى الوراء ورأى ان حزب الله لا يمتلك مشروعاً لتطبيق ولاية الفقيه وانه يسيطر على الحياة السياسية والاجتماعية كما يقول في أطروحته معتبراً أن القلق من سيطرة الإسلاميين تشكل قلقاً للمسلمين كما للمسيحيين.. أما متري فاعتبر ان التخويف الذي يتعرض له المسيحيون هو عملية مهندسة ومسيسة وان الأنظمة المستبدة هي التي أضافت الأقليات، لافتاً إلى ان التنوع في آراء المسيحيين هو مصدر غنى للحياة العامة وليس انقساماً. ورأى ان دوافع تناقص المسيحيين في العالم العربي التي تحدث عنها سنو في أطروحته موجودة منذ القدم وسببها الأساسي الهجرة على اختلاف مسبباتها، مشيراً إلى ان المسيحيين بحاجة إلى من يقودهم لا إلى من يسوقهم".

".

من جهته، أوضح مونس ان الوجود المسيحي في المشرق العربي كان وجوداً انسانياً خاضعاً لتحولات التاريخ والجغرافيا وأن كل مسلم فيه شيء من المسيحي وبالعكس، لافتاً إلى ان القضية المسيحية المشرقية التي تحدث عنها سنو هي قضية كيانية وجودية اكثر منها سياسية واجتماعية. وشدد على ان السياسة هي ثرثرة اعطيت لتفاهة الحياة، مشيراً إلى ان الغاء المسيحي هو الغاء للمسلم وان الخلاص هو بالحب وان الوجد الحقيقي هو في فلسطين. ولفت سنو إلى ان ما دفعه لمعالجة هذا الموضوع هو "رؤية شريكى المسيحي يعيش في الخوف بعد الحوادث التي شهدها العالم العربي في ظل التغيير الحاصل التي لم يدخل بعد في مسألة التغيير الاجتماعي في العلاقات الإسلامية المسيحية، مشيراً إلى ان خوف المسيحي من تنامي الأصوليات هو كذلك خوف كل مسلم. وفي الختام، كان نقاش مع الحاضرين.

جريدة الأنوار 30 أيلول 2011

كتب محمد خليل السباعي :

أقامت حلقة الحوار، ومجلة الحداثة، بالتعاون مع بلدية الشياح، ندوة حول الدراسة البحثية، التي أعدها العميد السابق لكلية التربية، في الجامعة اللبنانية، أستاذ مادة التاريخ الحديث والمعاصر فيها، عبد الرؤوف سنو، تحت عنوان: الوجود المسيحي في المشرق العربي، تحدث فيها الوزير السابق، طارق متري، أمين عام لجنة الوطنية للحوار الإسلامي - المسيحي في لبنان محمد السمّك، أمين سر اللجنة الأسقفية لوسائل الاعلام، التابعة لمجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان، الأب يوسف مونس، اقيمت الندوة في قاعة الاحتفالات، في مقر بلدية الشياح. بحضور عضو هيئة الرئاسة في حركة أمل الدكتور حسن قبلان، أمين عام المجلس الأعلى للطفولة، في لبنان ايلي مخايل، عضوا مجلس بلدية الشياح، ايلي نمم، وايلي فغالي، ممثلان رئيس البلدية ادمون غاريوس، بالاضافة إلى حشد من الشخصيات والمهتمين.

الافتتاح بالنشيد الوطني اللبناني وقوفاً، فكلمة ترحيب ألقاها رئيس لجنة الاعلام، في بلدية الشياح، جورج نعوم، وأدارت الندوة، نضال الأميوني دكاش، ثم تحدث الدكتور السمّك، فقال: استوقفتني عبارة في دراسة الدكتور سنو، تقول: ازاحة المسيحيين عن مراكز السلطة العليا، وقواعد الاقتصاد في لبنان،

في المقابل أرد، بأن المسلمين واليساريين، لم يحاولوا أبداً إزاحة المسيحيين، بل كان الهدف مشاركتهم في السلطة. وعن رئاسة الجمهورية اللبنانية، يقول الباحث سنو ان الرئاسة ظلت عرفاً للموارنة، حتى اتفاق الطائف ١٩٨٩، ثم دستورياً بعد ذلك، بموجب الاتفاق المذكور، ولكن أرد بالقول، بأن اتفاق الطائف، لا ينص على ذلك، ولا دستور ١٩٩٠، فالرئاسة للموارنة لا تزال عرفاً . وأضاف: يعتبر الباحث سنو، أن دخول نواب مسيحيين إلى البرلمان، في أفلاك زعامات إسلامية، هو عيب في التمثيل نواب مسيحيون مع تيار المستقبل، حركة أمل، حزب الله، فالعكس قائم أيضاً نواب مسلمون مع العماد ميشال عون، وسنة مع حزب الله، وأرد بأن انتخاب كل طائفة لنوابها، هو خطوة إلى الوراء. وأشار سنو في دراسته، إلى موضوع الزواج المدني ١٩٩٧، وقال: انه لو نجح لفتح أفق الانفتاح، بين المسلمين والمسيحيين، ولكن أرد بأن تغييراً في قوانين الأحوال الشخصية، من شأنه أن يغير، من بنية المجتمع اللبناني، يفترض أن يتم بالتفاهم وليس بالتمرير، أي بالمشاركة مع المرجعيات الدينية المسيحية والإسلامية، وليس من وراء ظهرها، وفي شكل مفاجئ لها، كما حدث. ولعل هذا الأسلوب في محاولة تمريره كانت السبب في إجهاضه.

وختم السمّك: تحدثت الدراسة عن حزب الله، وعن سيطرته على الحياتين السياسية والاجتماعية، ومشروعه لتطبيق مقولة الفقيه مما يزيد من مخاوف المسيحيين، لكنني أقول، لا أعتقد أن حزب الله يسيطر، بل لعله يحاول أن يسيطر، على الحياة السياسية. أما الحياة الاجتماعية، فأمر آخر أشد استعصاء، ثم أنني لا أعرف أن للحزب مشروعاً لتطبيق ولاية الفقيه. ولا أعتقد أن القوى المسيحية المتحالفة معه، تخاف من هذا المشروع غير الموجود. فالنائبان ميشال عون وسليمان فرنجية وسواهما، من قادة القوى المسيحية، لم يعبروا عن هذا الخوف. هذا لا يعني طبعاً أن الكتائب اللبنانية والقوات اللبنانية غير خائفة، بل أنها تذهب في التخريف، إلى حد الادانة. وهذا أمر يحتاج إلى وقفة هادئة، وبحث أعمق وأجدى، ولعل أخطر ما يصاب به، أي مجتمع هو الخوف من الخوف.

متري

ثم تحدث الوزير السابق متري، فقال: نلاحظ في هذه المرحلة الراهنة، وجود اطلاق لكلام مهندس وهو قابل للاستثمار السياسي في لبنان، يجري مقارنات متسارعة، حول الوضع المسيحي في العراق ومصر وسوريا، في المقابل، يجب أن تدرس كل حالة، في سياقها التاريخي، واذا شئنا أن نقارن بين هذه الدول، لاحظنا أن الأنظمة المستبدة، في سوريا والعراق ومصر، هي التي أخافت الأقليات، مرة أولى لكي تخضعها، ومرة ثانية، أوجدت ان الحزب الحاكم الواحد، هو الضمانة لحمايتها، مما ولاءها. في المقابل أقول، بأن الوجود المسيحي في المشرق العربي، قبل مئة عام، كان يشكل ٢٥% من سكان هذه المنطقة، وفي هذه المرحلة الحالية، لا تتجاوز النسبة، ال ١٠%، ومرد هذا الانخفاض المخيف، تدني معدلات الخصوبة والزواج والانجاب لدى المسيحيين، وارتفاع معدلات الهجرة إلى الخارج، وهذا لا يعني اختصار أصل المشكلة إلى هذين السببين فقط، بل أرى ان المسيحيين في هذه المنطقة، يعيشون الغربة والقلق والخوف، وأن التناقض الحاصل في أعدادهم، يعود تبعاً لأقبالهم التدريجي، للطريقة، في اكتساب التعليم والصحة والاستقرار المدني.. أضاف متري: ان مهندسي التخويف، يطلون دائماً علينا، بمقولة وجود الأقليات، في مواجهة الغالبية أو الأكثرية، ويحشروننا في دور واحد، وكأننا قطع يمشي وراء زعيم واحد، أو أننا متشددون وأصوليون وملتزمين، ولسنا مسيحيين عرب، ونرد عليهم، ليست الزعامات السياسية عندنا، من لعبت أدواراً ريادية، بل شخصيات ومؤسسات ثقافية وتربوية واجتماعية، ولم تنشغل مدرسة بطرس البستاني، والكلية السورية الانجيلية، التي أصبحت فيما بعد، الجامعة الأميركية في بيروت، وجامعة القديس يوسف، في التطرق إلى أزمة هوية نعيشها، لناحية أن المسيحيين، أصبحوا أقلية في مواجهة أكثرية، بل هم أكثر انشغالاً، في مسألة الدولة والمواطنة والمشاركة والاستقلال، وقضايا التحرر والديمقراطية والعلمانية والتقدم الاجتماعي، والمعرفة والنمو والثقافي، والعدالة الاجتماعية والمساواة والتنوع والتمايز .

الأب مونس

ثم تحدث الأب مونس، فقال: إن الوجود المسيحي في المشرق العربي، كان في البدء وجوداً إنسانياً خاضعاً، لتحويلات التاريخ والجغرافيا، والتساؤلات الكبرى في الحياة والموت والجدلية والمصير والوضع الإنساني، المسيحيون كانوا قبل الإسلام، واستمروا معه جزءاً من النسيج الحضاري والاجتماعي، كما تقول رسالة بطاركة الشرق، ففي كل مسلم، شيء من المسيحية، وفي كل مسيحي، شيء من الإسلام، نحن المسؤولين عن بعضنا بعض، أمام الله والناس والتاريخ، المسيحيون حملوا الإسلام إلى الغرب، في شخصيته المشرقية الصوفية، وريادة نهضوية في العقل النقدي . وتابع: ان القضية المسيحية المشرقية، هي قضية كيانية وجودية، أكثر منها سياسية واجتماعية، وأنا لا أؤمن بالسياسة، والقضية هي قضية الإنجود في مدينة الله وليس في مدينة قيصر، مدينة الله، هي موقف ملكوت، العدل والمحبة والهجرة إلى الآخر، بعيداً عن الحقد والكراهية والانغلاق، والتفجع على المصير، إنه ندب نسائي، لا علاقة له بالفجاعة الاغريقية، القائمة على الموت والحياة، وهنا تبنت الأصوليات والعصبيات والتطرف، غريب استكانة العقل الديني، في راحة دينية، يقبل أن يكون الآخر، قريباً وتضحية له، مبرراً إلهياً، وهذه الاستكانة هي أزمة الشرق. والسؤال الذي نطرحه. علينا تنقية الذاكرة والقلب، والتوبة إلى الآخرة، لأن كل الغاء للمسلم، هو الغاء للمسيحي، وكل الغاء للمسيحي، هو الغاء للمسلم .

أضاف: إن دراسة الدكتور سنو، غزيرة بالمعلومات والمقاربات، وأنا من القائلين: إن الله يكتب مستقيماً على خطوط التاريخ اللولبية، فلا تخافوا على المسلمين، ولا على المسيحيين، فيد الله تمسك بهذا التاريخ، الأرقام المفزعة حقاً، هي في فلسطين، جرحنا الحقيقي هو فلسطين، صليبنا الحقيقي هو فلسطين، ووجعنا الحقيقي هو فلسطين، لذلك هذا المشرق العربي، يدمر في عالم ذئبي، الناهش لحم الآخر، لا خلاص لنا في هذا المشرق العربي، الا بالحب، لنكون في التآلف والرحمة، في الإسلام والمسيحية، لا وجود لي دون الآخر، الآخر هو يجعلني أدخل ملكوت الله، لا يمكن للمسلم، أن يصل إلى السماء وحده، ولا للمسيحي أن يصل إلى السماء وحده .

وختم: لا خلاص لنا في هذا الشرق، الا بالحب، لنكون في يد الله، ونبني رجاء جديداً للبنان، بالحرية والكرامة والعدل والمساواة، ونخرج من عبودية الجهل والعداوة، وإن قتل الآخر، هو قتل للذات، فلا وجود لي دون الآخر، عودوا إلى النقاش الفكري والحوار البناء، الذي يعطي للانسان فكراً آخر، في المصالحة والتعايش في وطن، كتب عنه الدكتور كمال الحاج: لبنان إنه الوطن المحاط باللهب، فهل يحترق، منذ ٣٠ عاماً، سؤال نطرحه، هو في اللهب، ولم يحترق، وسيبقى إلى الأبد، دون أن يحترق .

سنو

ثم تحدث معد الدراسة، الدكتور سنو فقال: إنني كمسلم، أرى شريكي وأخي في الوطن، يعيش في قلق وخوف، ليس على صعيد لبنان لوحده، إنما على صعيد المنطقة العربية كلها، وكلنا اعتقدنا ان الربيع العربي القادم، يمكن أن يزيح عنا كابوس، المسألة السياسية والاجتماعية، التي يعاني منها المسيحيون في هذا المشرق العربي، بعد الحوادث المتكررة، التي طالت الأماكن الدينية المسيحية، في العراق ومصر وسواهما، وتساءلت هل نسعى في العالم العربي، إلى حدوث تغيير، بشخصيات في النظام السياسي، أو أن الانتفاضات العربية، سنتحول إلى ثورات، تؤدي إلى تغيير اجتماعي، ولغاية الآن أقول، لم يحدث أي تغيير، في العلاقات الاجتماعية، بين المسلمين والمسيحيين .

أضاف: بالنسبة إلى سيطرة حزب الله على الحياتين السياسية والاجتماعية، كما جاء في الدراسة، أرد بالقول في المجالس الخاصة، نتحدث عن سيطرة حزب الله، ولا نريد أن نخفي، كل تكاذبنا بالأفئعة، في

المجتمع السني، هناك حديث عن هيمنة حزب الله، وفي الخطاب السياسي والإعلامي، المتداول في شكل يومي، هناك كلام عن هيمنة حزب الله. أما بالنسبة إلى ولاية الفقيه، فهناك أحاديث وخطب كثيرة، لقيادات وشخصيات في حزب الله تتحدث عن ولاء أعمى، لولي الفقيه، الذي هو اليوم، السيد علي خامنئي، عندما يصدر عنه، أي قرار، أو أمر، أو فتوى، عليهم الالتزام والتقيّد بها، والإطاعة لأوامره، وهذا مسجل في خطب وأحاديث وحوارات وأقوال، نُشرت سابقاً وتُنشر في وسائل الإعلام . وختم: ان إيران من خلال ولي الفقيه، هي دولة إسلامية، لها مصالحها السياسية والاقتصادية والأمنية، في المنطقة العربية والشرق الأوسط، ويمكن أن تطلب كذا وكذا، وأنا لا أتهم حزب الله، بالحالة الطائفية أو المذهبية، أو بتعزيز الخوف عند المسيحيين، الحالة التي تتداخل فيها عوامل أخرى، ومنها النظرة إلى دور حزب الله، وموقعه ووظيفته، والى ولاية الفقيه، وصولاً إلى الأصولية الإسلامية، ان المسؤولية تقع على الدولة اللبنانية، لناحية أن يشعر المواطن بأنه متساوٍ مع المواطن الآخر، في الحقوق والواجبات والمساواة والعدالة الاجتماعية والاقتصادية، وتعزيز ثقافة الاعتراف بالآخر، وبناء وترسيخ ثقافة وطنية شاملة، لكي يتخلص لبنان وشعبه ومؤسساته، من الحالة الطائفية المتعصبة والمذهبية العمياء، التي تعشش في جسم هذا الوطن.

جريدة اللواء، 30 أيلول 2011

ندوة حول دراسة د- سنو عن <الوجود المسيحي في الشرق>:
إعتراف بوجود مشكلة في العلاقات الطائفية ودعوة لمواجهة الأصوليات



محمد جابر: القلق والخوف على الشريك في الوطن، دفع الدكتور عبد الرؤوف سنو إلى كتابة دراسته في مجلة الحداثة <الوجود المسيحي في المشرق العربي>، فهذا الوجود الذي شكل إشكالية، في ضوء ازدياد المخاوف مع تواصل الحراك في الشارع العربي، وكثرة الهواجس من وضع الاقليات، حيث كانت هذه الدراسة موضع تحليل، في مبنى بلدية الشياح، بدعوة من ندوة الحوار الثقافي، ومجلة الحداثة، تحدث فيها تواليها، الدكتور محمد السماك، الوزير السابق الدكتور طارق متري، والاب يوسف مونس، وصاحب الدراسة الدكتور عبد الرؤوف سنو، وغاب عنها الدكتور بطرس لبكي لدواع صحية، وأدارت الحوار نضال دكاش.

بعد النشيد الوطني وكلمة ترحيبية من نضال دكاش، تحدث جورج نعوم (رئيس اللجنة الاعلامية في بلدية الشياح) مؤكدا ان البلدية تسعى دوما لتشجيع النشاطات الثقافية.

ولفت الدكتور السماك إلى انحيازه للكاتب بحكم الصداقة الشخصية، مشيراً إلى ان الموضوع دقيق وحساس وحاولت ان اكون منحاذا للجانب العلمي، متحدثاً عن ان الكاتب انطلق في بحثه من الاعتراف بوجود مشكلة في العلاقات الإسلامية المسيحية في المشرق العربي وتعريف المشكلة هو نصف الطريق نحو حلها.

وأشار الدكتور السماك إلى الهجرة المسيحية وعلاقتها بالإرهاب الذي مارسه بعض الحركات الإسلامية المتشددة، بالإضافة إلى عدم حل مشكلة فلسطين وعلاقتها بتنامي الأصولية، لافتاً إلى ان الهجرة المسيحية نحو الغرب كانت سابقة لظاهرة الإرهاب وان ازدادت بعدها وهي هجرة إسلامية ومسيحية. متحدثاً أيضاً عن تنامي اليهودية الإسرائيلية، والتي أثرت على الأوضاع، إضافة إلى المسيحية الصهيونية في اميركا.

ولفت الوزير متري إلى أن التخويف الذي يتعرض له المسيحيين عملية مهندسة مسيسة تستعجل تحقيق ما نخافه، متحدثاً عن أخذنا إلى خرافة المؤامرة، مشيراً إلى ان المسيحيين العرب هم أقلية دينية متناقصة، وأقلية تراجت ولكن لا يمكن الاغلاق عليهم، متحدثاً عن كلام كبير مهندس ومسيس عن مخاوف وهو قابل للاستثمار السياسي .

ورأى متري ان هناك مبالغت في الحديث عن هجرة المسيحيين، وقد كانت نسبتهم من مجموع السكان في العالم العربي عام 1914 ما يوازي الربع، أما اليوم فهي لا تتجاوز ال 10 بالمئة، مشددا على ان تراجع الدور المسيحي مرتبط بضعف الدولة، وإعاقة قيامها، ودوما مع الدولة تأتي المواطنة، داعياً إلى التمسك بالدولة بدل اعادة اختراع عصبية قديمة او جديدة.

وأشار الأب مونس إلى ان الوجود المسيحي في الشرق كان في البدا وجوداً إنسانياً خاضعاً لتحولات التاريخ والجغرافيا وللتساؤلات الكبرى عن الوجود وفي الحياة والموت، واستمروا كجزء من النسيج الاجتماعي، مشددا على انه في داخل كل مسلم شيء من المسيحية، وفي داخل كل مسيحي شيء من الإسلام.

ولفت إلى أن المسيحية قضية كيانية وجودية أكثر منها سياسية اجتماعية، فالسياسة هي الثروة التي أُعطيت لتفاهة الحياة، والتفجع على المصير اليوم هو ندب نسائي، داعياً إلى تنقية الذاكرة وتنقية الذات، مؤكدا ان كل إلغاء للمسيحي هو إلغاء للمسلم، فلا تخافوا على المسلمين ولا على المسيحيين .

وفي الختام، تحدث الدكتور سنو إلى ان ما دفعه لكتابة هذه الدراسة الخوف والقلق على شقيقي في الوطن، وكلنا اعتبرنا ان الربيع العربي القادم سيزيح كابوس المسالة السياسية والاجتماعية التي يعانيها المسيحي العربي، مشيراً إلى عدة تساؤلات بعد الحراك الاخير في العالم العربي، هل نحن نذهب إلى تغيير أشخاص، ام ثورات ستؤدي إلى تغيير اجتماعي، ومع الاسف اكتشفنا أن المسالة لن تؤدي إلى تغيير اجتماعي بعد.

ودعا إلى ان يكون هدف الجميع محاربة الأصوليات، ويجب ان نفهم جميعاً حالة القلق عند المسيحيين، لافتاً إلى أننا جميعاً نتحدث في مجالسنا الخاصة عن سيطرة حزب الله، مؤكدا ان القادة في <حزب الله> يتحدثون علناً عن ولائهم لولاية الفقيه، مشددا على ضرورة ان تحمي الدولة كل مواطن، ولكن هي غير موجودة عندنا.